جماعة أنصار السنة المحمدية
فرع بلبيس – اللجنة العلمية

الخطب المهمة لدعاة الأمة

شهر ذى الحجة (١٤٣٣هـ)

إشراف ومراجعة
د/ صبري عبد المجيد
الشيخ/ أحمد بن سليمان

١- إدراك الفوت لمن فاته حج البيت
[مكفرات الذنوب وموجبات الجنة]

عناصر الخطبة

تمهيد وتعريف

مكفرات الذنوب من القرآن الكريم.

مكفرات الذنوب من السنة المطهرة الصحيحة

وإليك التفصيل

تمهيد:

الهدف من الخطبة: البرهنة على صدق الرغبة في تكفير الذنوب والخطايا لمن لم يحج وذلك بسلوك بسلوك سائر المكفرات التي يقدر عليها .

أولا: **تعريف التكفير والمغفرة**: التكفير: ستر الذنب وتغطيته بحيث يصير بمنزلة مالم يفعل[١]، والكفارة هي الخصلة والفعلة التي من شأنها أن تُكفِّر الخطيئة: أي تسترها وتمحوها[٢] . **المغفرة،** والغفر: التغطية على الذنوب والعفو عنها[٣]. **والاستغفار**: طلب ستر الذنوب والعيوب، والتجاوز والعفو عنها، بالمقال والفعال، وقد قيل: الاستغفار باللسان دون الفعال فعل الكذَّابين[٤].

ثانيا: صلة الموضوع بالحج والعمرة: لقد جاءت عن النبيﷺ أحاديث كثيرة تدل على أن العبد إذا حج أو اعتمر وكان حجه حجا مبرورا غفر الله له ذنبه وكفر عنه الخطايا ومن ذلك ما يلي:

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (١٠٧) .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٨٩)، ولسان العرب (٥/١٤٩) .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٥/٥٩٩) ، وتاج العروس (١٣/٢٤٧) .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني، (٦٠٩) .

١ – حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: "**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ**(١)**، وَلَمْ يَفْسُقْ**(٢)**، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**"(٣)، وفي لفظ مسلم: "**مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**"، وهذا اللفظ يشمل الحج والعمرة.

٢ –عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: "**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ**"(٤). والحج المبرور هو الذي لا رياء فيه، ولا سمعة، ولم يخالطه إثم ولا يعقبه معصية، وهو الحج الذي وُفِّيت أحكامه ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل، وهو المقبول، ومن علامات القبول أن يرجع خيراً مما كان ولا يعاود المعاصي. والمبرور مأخوذ من البر وهو الطاعة والله أعلم(٥)

ثالثا: مناسبة الموضوع لواقع المسلمين: لا شك أن واقع المسلمين مليء بالنوازل والمحن والفتن والمصائب العامة والخاصة والله تعالى يقول: {**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**}[الشورى: ٣٠] فنحن بلا بشك نحتاج إلى تكفير الذنوب كوسيلة من أعظم الوسائل لرفع البلاء

---

(١) الرفث: الْقَبِيح من الْكَلاَم، وَمَا رُوجِعَ بِهِ النِّسَاء من تَعْرِيض أَو تَصْرِيح تفسير غريب ما في الصحيحين (١/ ٢٧٤). وانظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٤١) وفسره ابن كثير بالجماع ثم قال: وكذلك يحرم تعاطي دواعيه: من المباشرة، والتقبيل، ونحو ذلك، وكذلك التكلم به بحضرة النساء. انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٤٢).

(٢) ولم يفسق: الْفِسْقُ، وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ. انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢).

قال الدكتور سعيد القحطاني: ولا شك أن الفسوق: هو جميع المعاصي كما قال الله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ}[البقرة: ١٩٧]، فيدخل في الفسوق جميع المعاصي كما صوَّبه الإمام ابن كثير في تفسيره، ٢/ ٢٤٤، ومن ذلك الوقوع في محظورات الإحرام، والسباب، والشتم، كما قال النبي ﷺ: **سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**. أخرجه البخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (٦٣). والرفث: الجماع ودواعيه.

(٣) البخاري (١٥٢١)، (١٨١٩)، ومسلم(١٣٥٠).

(٤) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٥) فتح الباري (٣/ ٣٨٢)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١١٩).

أولا: مكفرات الذنوب من القرآن الكريم. (١)

من رحمة الله تعالى أن بيَّن لنا كثيرًا من المكفرات في كتابه العزيز فما ترك الله من خير إلا بيَّنه لنا وأمرنا به وما ترك من شرٍّ إلا وحذرنا منه ونهانا عنه وها نحن الآن نذكر إن شاء الله تعالى بعض المكفرات من القرآن راجين من المولى تبارك وتعالى أن يعيننا على العمل بها وأن يمن علينا بمغفرة ذنوبنا.

أولاً: الإيمان والعمل الصالح: قال الله – عز وجل –: {**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [العنكبوت: ٧] يعني أن الذين منَّ الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، سيكفر الله عنهم سيئاتهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، {**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**} وهي أعمال الخير، من واجبات ومستحبات، فهي أحسن ما يعمل العبد؛ لأنه يعمل المباحات أيضاً، وغيرها(٢) .

ومثلها قوله تعالى {**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**} [محمد: ٢]

فالذين آمنوا بما أنزل الله على رسله عموماً، وعلى محمد خصوصاً إيماناً كاملاً، وعملوا الصالحات بأن قاموا بما عليهم من حقوقٍ لله – عز وجل –، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة، كفّر الله عنهم سيئاتهم: صغارها وكبارها، وأصلح بالهم: أي أصلح دينهم، ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم بتنميته، وتزكيته، وأصلح جميع أحوالهم (٣).

ثانياً: الصبر والعمل الصالح: قال الله تعالى: {**إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**} [هود: ١١]. الذين صبَّروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات {أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}

---

(١) انظر: رسالة المكفرات للدكتور سعيد بن وهف القحطاني .

(٢) تفسير السعدي سورة العنكبوت آية (٧)

(٣) انظر: تفسير السعدي سورة محمد

وهو: الفوز بجنات النعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس، {وتلذ الأعين}.(١)

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ (٢) وَلَا وَصَبٍ (٣) وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**" (٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلاَّ حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**" (٥).

ثالثاً: التقوى : قال الله عز وجل: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**} . امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتَّب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيراً، فذكر هنا أن من اتقى الله حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها: **الأول:** الفرقان، وهو العلم والهدى الذي يُفرِّق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع، يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

الرابع: الأجر العظيم، والثواب الجزيل لمن اتقاه، وآثر رضاه على هوى نفسه {**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**}(٦).

رابعًا: محبة الله واتّباع النبي ﷺ تُغفر بها الذنوب:

قال الله تعالى: {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} .

قال السعدي : وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها... فمن اتّبع

---

(١) تفسير السعدي سورة هود

(٢) النصب: التعب.

(٣) الوصب: المرض.

(٤) البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣) .

(٥) البخاري(٥٦٤٧،و٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٦) تفسير السعدي سورة الأنفال

الرسول دل على صدق دعواه محبّة اللَّه تعالى؛ وأحبّه اللَّه وغفر له ذنبه، ورحمه وسدّده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتّبع الرسول ﷺ فليس مُحبّاً للَّه تعالى، لأن محبّته للَّه توجب له اتّباع رسوله ﷺ، فما لم يوجد ذلك دلَّ على عدمها، وأنه كاذب إن ادّعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتّباع الرسول ﷺ يكون إيمانهم وحبّهم للَّه، وما نقص من ذلك نقص.

خامسا: الاستغفار: ١ - قال اللَّه تعالى: {**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**}، وقال تعالى: {**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**}. أي: من تجرأ على المعاصي، واقتحم على الإثم، ثم استغفر الله استغفاراً تاماً يستلزم الإقرار بالذنب، والندم عليه، والإقلاع والعزم على أن لا يعود، فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة، فيغفر له ما صدر منه من الذنب[١].

خامسًا: التوبة النصوح: قال اللَّه عز وجل: {**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**}. وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ. قَالَ: فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ وَيُخَبَّأُ عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ مُقِرٌّ لَا يُنْكِرُ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنَ الْكِبَارِ، فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: إِنَّ لِي ذُنُوبًا مَا أَرَاهَا. قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**"[٢].

سادسًا: العفو والصفح تغفر بذلك الذنوب:

١ - قال اللَّه عز وجل: {**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}. {وَلا يَأْتَلِ} أي: لا يحلف

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٠٠).

(٢) مسند أحمد (٣١٣٩٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٥٢).

كان من جملة الخائضين في الإفك مسطح بن أثاثة، وهو قريب لأبي بكر الصديقﷺ ، وكان مسطح فقيراً من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه؛ لقوله الذي قال، فنزلت هذه الآية، ينهاهم عن هذا الحلف المتضمّن لقطع النفقة عنه، ويحثُّه على العفو والصفح، ويعده بمغفرة الله إن غفر له، فقال: {**أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} إذا عاملتم عبيده، بالعفو والصفح، عاملكم بذلك، فقال أبو بكرﷺ لما سمع هذه الآية -: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجَّع النفقة إلى مسطح.

فهذه بعض المكفرات من القرآن عض عليها بالنواجذ، وإليك بعض المكفرات من السنة .

ثانيا - المكفرات من السنة:

والمكفرات الواردة في السنة كثيرة منها تحقيق توحيد الله تعالى ، والحسنات الماحية[١] وإسباغ الوضوء على المكاره[٢]. وصلاة ركعتين بعده[٣] وكذلك إسباغ الوضوء لصلاة الفريضة[٤] ، والمشي إلى الصلاة[٥] والصلوات الخمس[٦] والجمعة إلى الجمعة[٧] ورمضان إلى رمضان[٨] والأذان والترديد خلف المؤذن، وصلاة ركعتين مع الوضوء والاستغفار[٩]، وقيام الليل، وتغسيل الميت

(١) مسند أحمد ٣٥/ ٣٨٦، برقم ٢١٤٨٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم١٣٧٣ .

(٢) صحيح مسلم (٢٤٤)، (٨٣٢).

(٣) البخاري،(١٦٤)، ومسلم (٢٢٦).

(٤) البخاري (١٦٠)، (٢٢٧).

(٥) مسلم (٢٥٧) .

(٦) مسلم (٢٣٣).

(٧) مسلم(٨٥٧).

(٨) مسلم (٢٣٣).

(٩) أبو داود، (١٥٢١)، والترمذي، (٤٠٦)،وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٢٨٣.

وتكفينه، والصلاة عليه[١]. والصيام ومجالس الذكر، والإكثار من الأذكار التي تغفر بها الذنوب، وسقي الماء على شدة العطش، والشهادة في سبيل الله تكفر كل شيء إلا الدين، و الأذكار أدبار الصلوات، والتجاوز عن المعسر[٢]، والصلاة على النبي ﷺ، وغير ذلك وفي كل هذا عن النبي ﷺ أحاديث وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

أولاً: قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... الخ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**" (٣)

ثانياً: تحقيق التوحيد : فعَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ**"، قَالَ الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ: "**مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاء**". (٤)

ثالثاً: إسباغ الوضوء : فعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال له : "مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٣٩٥)، واللفظ له، وأخرجه والحاكم، (١/ ٣٥٤)، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم" وكذا قال الذهبي وقال الألباني في الجنائز، ص٦٩: "هو كما قالا".

(٢) البخاري (١٩٧١) .

(٣) البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٤) البخاري(٣٤٣٥)، واللفظ له، ومسلم (٢٨).

وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ". (١)

رابعًا: إسباغ الوضوء ثم الصلاة بعده ركعتين : فعَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه عن عثمان أنه توضأ ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، وَقَالَ: مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ". (٢)

خامسًا: الأذان : عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَّ صَوْتِهِ. (٣).

سادسًا: متابعة الأذان : عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**" (٤). عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**". (٥)

سابعا: الصلوات الخمس: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً،**

---

(١) صحيح مسلم (١٨٨٢) .

(٢) البخاري (١٦٤)، ومسلم (٢٢٦).

(٣) النسائي (٦٤٦)، وأحمد، ٣٠/ ٤٦٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٩٩.

(٤) مسلم(٣٨٥).

(٥) مسلم(٣٨٦).

وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً" (١)

ثامنا : الأذكار أدبار الصلوات: لحديث أبي هريرة ﷺ عن رسول اللهﷺ قال: "**من سبَّحَ اللَّه دُبُرَ كلّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وحمد اللَّه ثلاثاً وثلاثين، وكبّر اللَّه ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه ولو كانت مثل زَبَدِ البَحْرِ** " (٢).

تاسعا: صلوات التطوع : لحديث ثوبان مولى رسول اللهﷺ، عن النبيﷺ أنه قال له: "عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً"(٣) ، ومن التطوع قيام الليل فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ أَنَّهُ قَالَ: **عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ** " (٤)..

وقيام الليل من أعظم أسباب دخول الجنة، فعن عبد اللَّه بن سلام ﷺ أنه ﷺ قال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

عاشرًا: الصيام: لحديث حذيفةﷺ عن النبي ﷺ : **فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ.**(٦)

وعن أبي قتادة ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: ... **صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده وَصِيامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**" (٧).وعن

---

(١) مسلم (٦٦٦).

(٢) مسلم (٥٩٧).

(٣) مسلم (٤٨٨).

(٤) سنن الترمذي (٣٥٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم (٢٨١٤).

(٥) أخرجه ابن ماجه بلفظه (١٣٣٤)، والترمذي (١٩٨٤)،وصححه الألباني في الصحيحة(٥٦٩) .

(٦) البخاري (٥٢٥) ، ومسلم (١٤٤).

(٧) مسلم (١١٦٢)

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا** "(١)

الحادي عشر : مجالس الذكر : لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبي ﷺ قال في فضل من جلس مع من يذكرون الله : **"هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"**(٢) .

وهناك من الأذكار ما تغفر به الذنوب: فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ** "(٣).

الثاني عشر: سقي الماء على شدة العطش: لما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ أخبر أن الله تعالى غفر لرجل سقى كلبا كان يأكل الثرى من العطش(٤) وغفر لبغي سقت كلبا.(٥)

الثالث عشر: الشهادة في سبيل الله تكفر كل شيء إلا الدين

فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ أن رسول اللَّهِ ﷺ قال لرجل إن قتلت في سبيل وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ تكفر عنك خطاياك إِلاَّ الدَّيْنَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ - عليه السلام - قَالَ لِي ذَلِكَ(٦) . وعن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ - عز وجل - قَالَ الْحَكَمُ: سِتَّ خِصَالٍ - أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ**، ...الخ (٧).

---

(١) البخاري واللفظ له، (٢٨٤٠)، ومسلم(١١٥٣).

(٢) البخاري(٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) .

(٣) البخاري(٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) .

(٤) البخاري (٦٠٠٩)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٥) البخاري (٣٤٦٧) .

(٦) مسلم (١٨٨٥) .

(٧) أخرجه أحمد (٢٨/ ٤١٩)، والترمذي (١٦٦٣)، وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢١٣) وتمامه : وَيَرَى - قَالَ الْحَكَمُ: وَيُرَى - مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - قَالَ الْحَكَمُ: يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ.

الرابع عشر : الصلاة على النبي ﷺ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي -عز وجل- فَقَالَ: **مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلاَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا** "(١).

انتهت الخطبة

(١) أخرجه أحمد، (٢٦/ ٢٧٢/ ١٦٣٥١). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

٢ - حفظ الوقت

عناصر الخطبة

تمهيد: حول قيمة الوقت وأهميته **أولا: مكانة الوقت وأهميته**

ثانيا: بعض الأسباب المعينة على حفظ الوقت **ثالثًا: الحفاظ على أوقات الآخرين**

رابعًا: بماذا نستثمر أوقاتنا؟ **خامسًا: من مظاهر حفظ الوقت**

وإليك التفصيل

الهدف من الخطبة : هو معالجة واقع الناس في تضييع الأوقات فيما لا ينبغي

تمهيد: لا شك أن الذي يضيع الوقت لا يعرف قيمته وهذا حال كثير من الناس

قال ابن الجوزي: وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة، أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر، .... ولقد شاهدت خلقا كثيرا لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر في الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر، ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج، ومنهم من يقطع الزمان بحكاية الحوادث عن السلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك، فعلمت أن الله لم يُطْلِعْ على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك {**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**} [فصلت: **٣٥**].فإذا عرف الإنسان قيمة شيء ما وأهميته حرص عليه وعزَّ عليه ضياعه وفواته، ولو تدبر الإنسان لوجد أن العمر محدود جدًا، وأعمار هذه الأمة كما بين النبيﷺ: ما بين الستين إلى السبعين وقليل من يجوز ذلك كما في حديث أبي هريرةرضي الله عنه[1]، وستون سنة في الحقيقة لا تكاد تعد شيئًا مذكورًا لو تأمل العبد وتفطن، لأن هذه الستين يمر منها قريبا من ربعها قبل سن التكليف فهو فيها يلعب ويلهو والباقي بعد ذلك لمن مد

---

(١) سنن الترمذي (**٣٥٥٠**)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (**٧٥٧**).

الله تعالى في عمره، كم يذهب منها للنوم؟ لعل الإنسان العادي ينام قريبا من ثلث عمره، ثم كم لطعامه، وكم لشرابه، ثم كم يأخذ الناس من وقته في الأمور المباحة، فإن بعض الناس يسلم عليك فيريد من وقتك نصف ساعة، وهذا شيء نشاهده نحن، طفل يمسك بك ويضيع عليك ساعة، وكثير من الناس لا يشعر بقيمة هذا الزمن ولا بأهميته وكأن أمرًا ما كان! ولو دقق وحسب لوجد أن العمر ضيق وقصير بشكل يدعو إلى الغرابة، ولهذا كان حفظ الوقت أصل كل خير، وضياعه منشأ كل شر، بل إن ضياع الوقت داء عضال، ومرضٌ قَتَّال، تذوب معه الأرواح، ولا يقع معه الارتياح، وإن من توفيق الله للعبد أن يستعمله في طاعته وأن يبارك له في وقته ويُلهمه حُسن استثماره في طاعته فتكون دنياه مزرعةً لآخرته، فإذا زرع الطاعة حصد رضوان الله تعالى وجنته بفضل الله تعالى، ومن زرع الشوك لا يجني عنبا.

أولا: مكانة الوقت وأهميته:

الذي ينظر في القرآن والسنة وكلام السلف يتبين له أن للوقت أهمية كبيرة وبيان ذلك ما يلي:

١ – القسم بالزمن: قال تعالى: (وَالْعَصْرِ) قال ابن عباس رضي الله عنهما: العصر هو الزمن.

فقد أقسم الله عز وجل في هذه السورة الكريمة بالعصر. الذي هو الدهر. وإذا أقسم الله عز وجل بشيء من مخلوقاته فذلك دليل على عظم شأن ذلك الأمر.

٢ – الوقت من أصول النعم: وبيان ذلك أن نعم الله على العباد لا تعد ولا تحصى، قال جل شأنه: {**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**} . ومن أَجَلِّ تلك النعم وأعظمها نعمة الوقت، الذي هو من أصول النعم، ... وقد أشار القرآن إلى عِظم هذا الأصل في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {**وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ *وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**} . فامتن سبحانه في جلائل نعمه بنعمة الليل والنهار، وهما الزمن الذي نتحدث عنه ونتحدث فيه ويمر به هذا العالم الكبير من أول بدايته إلى نهاية نهايته" فتبين أن الوقت من النعم التي يجب على العبد شكرها ومن شكرها أن تشغل في طاعة الله تعالى.

٣ – ارتباط الوقت بالغاية من الخلق وهي العبادة قال الله تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**} . أي: "إلا ليُقِرُّوا بعبادتي طوعًا أو كرهًا ". وقد ارتبطت العبادات جميعها بمواعيد

ومواقيت محددة من قبل العزيز الحميد، مما يرفع من أهمية الوقت في حياة المسلم، وعلى رأس تلك العبادات الصلوات الخمس، التي قال الله فيهن: {**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**} وهكذا سائر الزكاة والصيام والحج وكثير من الأذكار كأذكار الصباح والمساء .....

٤ - وقت المسلم أمانة عنده، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ (١) . ولما كان الوقت أمانة لزم تنظيمه والاعتناء به وهي الخامسة

٥ - الحث على اغتنام الوقت والتحذير من إضاعته: ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: "**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هَرَمك، وصِحَّتَك قبل سَقَمك، وغَنَاءك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغْلك، وحياتك قبل موتك**"(٢) . وهذا يدفعك إلى المبادرة وعدم التسويف فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم: "**من خاف أدلج ومن أدلج بَلَغ المَنْزِل**"(٣) . (من خَافَ أدْلج) بِالتَّخْفِيفِ وَسَار من أول اللَّيْل وبالتشديد من آخِره (وَمن أدْلج بلغ الْمنزل) يعْنى من خَافَ الله أَتَى مِنْهُ كل خير وَمن أَمن اجترأ على كل شَرّ وهذا مَثَلٌ ضربه النبيُّ ﷺ لسالك الآخرة؛ فإن الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإنْ تيقَّظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمِن من الشيطان وكيده . وهذا المثل عامٌّ، ينطبق كذلك في حق من حدد لنفسه أهدافًا، ثم خاف أن تدركه المعوِّقات قبل بلوغها، فتجده يحثُّ الخُطا حتى يحقق أهدافه.(٤)

وقال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها. فإذا لم يفعل ذلك كان من المغبونين

---

(١) سنن الترمذي (٢٤١٧)، وقال : حسن صحيح .

(٢) السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٤٠٠) من حديث عمرو بن ميمون . وصححه الألباني (١٠٧٧) .

(٣) سنن الترمذي (٢٤٥٠) وقال حسن غريب. وانظر: الصحيحة (٩٥٤) .

(٤) فيض القدير (٦/ ١٢٣) ، وانظر: كتاب إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري (٢٥-٤٣) .

٦ - **الحذر من الخسارة في التجارة بالوقت**: عن ابن عباس ﷺ قال ﷺ: "**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة و الفراغ**"(١)

فدل هذا الحديث الشريف على أن الفراغ نعمة عظيمة من الله عز وجل، وأن كثيرا من الناس مغبون في هذه النعمة. (٢)

وقال ابن حجر : وَالْغَبَنُ بِالسُّكُونِ وَبِالتَّحْرِيكِ ... قَالَ ابن بَطَّالٍ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَكُونُ فَارِغًا حَتَّى يَكُونَ مَكْفِيًّا صَحِيحَ الْبَدَنِ فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَلْيَحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا يَغْبِنَ بِأَنْ يَتْرُكَ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَمِنْ شُكْرِهِ امْتِثَالُ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ فَمَنْ فَرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ الْمَغْبُونُ وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أن الَّذِي يوفق لذَلِك قَلِيل

وَقَالَ ابن الْجَوْزِيِّ: قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ صَحِيحًا وَلَا يَكُونُ مُتَفَرِّغًا لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُونُ صَحِيحًا فَإِذَا اجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ وَتَمَامُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ وَفِيهَا التِّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ فَمَنِ اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ وَمَنِ اسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ لِأَنَّ الْفَرَاغَ يَعْقُبُهُ الشُّغْلُ وَالصِّحَّةُ يَعْقُبُهَا السَّقَمُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَمُ ...، وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فَالْكَثِيرُ فِي الْحَدِيثِ فِي مُقَابَلَةِ الْقَلِيلِ فِي الْآيَة .(٣)

وسبب ذلك الغبن يرجع إلى أحد ثلاثة أمور:

(١) أنه لم يستغل هذا الفراغ على أكمل وجه، وذلك بأن يكون قد شغل فراغه بأمر مفضول مع أنه كان بإمكانه أن يشغله بأمر أفضل.

(٢) أنه لم يشغل هذا الوقت بشيء من الأعمال الفاضلة التي تعود عليه بالنفع في دينه ودنياه، وإنما شغله بأمور مباحة لا أجر فيها ولا ثواب.

---

(١) البخاري (٦٤١٢) .

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/٤٣٢) .

(٣) فتح الباري (١١/٢٣٠) .

(٣) أنه شغله بأمر محرم والعياذ بالله ، وهذا أشد الثلاثة غبنا، فهو ضيع على نفسه فرصة استغلال الوقت بما يعود عليه بالنفع، ولم يكتف بذلك بل شغل وقته بما يكون سببا لتعرضه لعقوبة الله عز وجل في الدنيا والآخرة!

قال ابن هبيرة: والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع

ولهذا حذر العلماء من التسويف، قال ابن القيم: التسويف رؤوس أموال المفاليس.

وقال: قت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مرَّ السحاب، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته وَإِنْ عَاشَ فِيهِ عَاشَ عَيْشَ الْبَهَائِمِ، فَإِذَا قَطَعَ وَقْتَهُ فِي الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَكَانَ خَيْرَ مَا قَطَعَهُ بِهِ النَّوْمُ وَالْبِطَالَةُ، فَمَوْتُ هَذَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ ، وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ – وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ – لَيْسَ لَهُ مِنْ صَلاَتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا فَلَيْسَ لَهُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا مَا كَانَ فِيهِ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ ".(١)

ثانيًا – ذكر بعض الأسباب المعينة على حفظ الوقت:

(١) محاسبة النفس، وتربيتها على علو الهمة: فمحاسبة النفس دأب الصالحين وطريق المتقين، فحاسب نفسك أخي المسلم على القليل والكثير من الوقت فيما مضى من الزمن واطلب منها معالي الأمور فيما يأتي من الزمن حتى لا ترضى بالدون، فمن ربَّى نفسه على التعلق بمعالي الأمور والتباعد عن سفسافها، كان أحرص على اغتنام وقته، ومن علت همته لم يقنع بالدون، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

ولله درُ من قال: إذا ما عَلا المرءُ رام العلا..... ويقنعُ بالدُّونِ من كان دُونَا

(٢) صحبة الصالحين: فالمرء على دين خليله ولله در القائل:

إذا كنتَ في قومٍ فصاحِب خِيارَهم ..... ولا تصحبِ الأردى فتردى مع الرَّدِي

عن المرءِ لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينهِ ..... فكلُّ قرينٍ بالمقارَن يقتدِي

---

(١) الجواب الكافي (١٥٧).

(٣) معرفة حال السلف، والتأسي بهم وهو كثير ومنه ما يلي :

١ - قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ندامتي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي.[١]

٢ - وقال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم أني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت، كان مشغولا إما يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي، وقد قسم النهار على ذلك.[٢] ومن عاش على شيء مات عليه قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة وهو في الصلاة.

٣ - وقال أحمد بن علي لعبد الرحمن بن أبي حاتم: ما سبب كثرة سماعك الحديث من أبيك؟ وكثرة سؤالاتك له؟ فقال: ربما كان يأكل طعامه وأنا أقرأ عليه الحديث ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه .

(٥) تنويع ما يُستغل به الوقت: فإن النفس بطبيعتها سريعة الملل، وتنفر من الشيء المكرر.

(٦) تذكُّر الموت وساعة الاحتضار. اعلموا رحمكم الله أن الموتى في قبورهم يتحسرون على عدم الإهمال في الأعمال بتسبيحة أو تحميدة أو ركعة

قال الله تعالى {**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**} [الأنعام: ٣١، ٣٢]

ثالثًا- الحفاظ على أوقات الآخرين: فمن السنة – مثلا - أنك إذا أتيت فاستأذن ثلاث مرات، فإن لم يؤذن لك فارجع. وهذا هو الصحيح كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع[٣]. وهذا فيه مراعاة أحوال الآخرين وأوقاتهم وألا نذهب إليهم إلا في الأوقات التي تناسبهم لا التي تناسبنا فحسب .

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق (١٦٣/٧) .

(٢) حلية الأولياء (٢٥٠/٦) .

(٣) صحيح البخاري (٦٢٤٥) .

رابعًا: بماذا نستثمر أوقاتنا؟

إن مجالات استثمار الوقت كثيرة، وللمسلم أن يختار منها ما هو أنسب له وأصلح، ومن هذه المجالات ما يلي:

(١) **حفظ كتاب الله تعالى وتعلُّمه وتعليمه** قال النبي ﷺ: "**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**"(١).

(٢) **حفظ الحديث الشريف**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**".(٢)

وقال الإمام أحمد:

دين النبي محمدٍ أخبارُ ... نعم المطيةُ للفتى الآثارُ

لا ترغبَنَّ عن الحديثِ وأهله ... فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ

قال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث. يعني مليون حديث، والمراد بذلك الأسانيد والمتون. فقيل له: ما يدريك؟ قال: ذاكرته، وأخذت عليه الأبواب.

وقال سليمان بن شعبة: كتبوا عن أبي داود أربعين ألف حديث وليس معه كتاب. يعني: أملى على تلامذته أربعين ألف حديث بالإسناد والمتن، وليس معه كتاب ينظر فيه.

وقال أبو زرعة الرازي: أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان: {**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**} [الإخلاص: ١]، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث. وهذا كثير عن السلف والحمد لله رب العالمين

(٣) **طلب العلم**: فأولى ما يصرف فيه المرء رأس ماله هو طلب العلم وتحصيله فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**" (٣).

(٤) **ذكر الله تعالى**: فليس في الأعمال شيء يسع الأوقات كلها مثل الذكر قال تعالى (**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**).

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٩٩)

(٥) الإكثار من النوافل: فعن أبي هريرةرضي الله عنه أن النبيﷺ قال: أن النبيﷺ قال: قال الله تعالى: " **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ** ".[١]

(٦) زيارة الأقارب وصلة الأرحام: فعن أنسرضي الله عنه أن النبيﷺ قال: **من سَرَّه أن يُبْسَطَ له في رزقه و أن يُنْسأُ له في أثره فليصل رحمه**[٢].

خامسًا: من مظاهر حفظ الوقت: المحافظ على وقته له علامات منها ما يلي :

(١) اغتنام أوقات العمر في الطاعة: عن ابن عمر رضي الله عنه ما قال: أخذ رسول اللهﷺ بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل). وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته.

وقال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى؛ فإنك إن أسأت فيما بقى، أخذت بما مضى وبما بقي.

انتهت الخطبة

---

(١)البخاري (٦٥٠٢) .

(٢) البخاري (٢٠٦٧) .

٣ - الإنصاف

عناصر الخطبة :

١ - معنى الإنصاف ٢ - الإنصاف في القرآن والسنة ٤ - أقسام الإنصاف وصوره

٥ - فضل الإنصاف وفوائده . ٦ - نماذج من السلف في الإنصاف .

وإليك التفصيل

معنى الإنصاف لغة واصطلاحًا:

لغة: النِصْفُ: أحد شقّي الشيء. والنَصيفُ: مكيالٌ. ونَصَفْتُ الشيء، إذا بلغت نِصْفَهُ. تقول: نَصَفْتُ القرآن.(١)

قال ابن فارس :(نصف) النون والصاد والفاء أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلُّ على شَطْر الشَّيء، والأخرى على جنسٍ من الخِدمة والاستعمال.(٢)

واصطلاحًا: حقيقةَ الإنصاف إعطاء النصف، فإن الواجب في العقول ترك الظلم على النفس وعلى الغير، وذلك لا يحصل إلا بإعطاء النصف؛ لكي يُسَوِّي بين نفسه وبين الغير.(٣)

قال الطبري: الإنصاف إعطاء الحق لصاحبك كالذي تستحق لنفسك.(٤)

وقيل الإنصاف وهو أن تعطى قسط غيرك كما تأخذ قسط نفسك.(٥)

الفرق بين الإنصاف والعدل

إن الإنصاف إعطاء النصف، والعدل يكون في ذلك وفي غيره ألا ترى أن السارق إذا قطع قيل إنه عدل عليه ولا يقال إنه أنصف، وأصل الإنصاف أن تعطيه نصف الشيء وتأخذ نصفه من غير

---

(١) انظر:الصحاح للجوهري (٢/٢١٢)

(٢) انظر:معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٣١)

(٣) تفسير اللباب في علوم الكتاب (٤/١٣٨)

(٤) تفسير الطبري (٦/٤٧٩)

(٥) مفاتيح الغيب (٢٩/٢١١)

زيادة ولا نقصان، وربما قيل أطلب منك النصف كما يقال أطلب منك الإنصاف ثم استعمل في غير ذلك مما ذكرناه، ويقال أنصف الشيء إذا بلغ نصف نفسه، ونصف غيره إذا بلغ نصفه.(١)

من الآيات الواردة في الحث على الإنصاف :

(١) {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} النساء: ١٠٥

هذه الآية تدعونا إلى الإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه ولا نظلم أحدًا بريئًا حتى ولو كان على غير ملة الإسلام

قال الطبري: أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ، يَعْنِي الْقُرْآنَ {**لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ**} لِتَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَفْصِلَ بَيْنَهُمْ {**بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**} يَعْنِي: بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِهِ {**وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**} يَقُولُ: " وَلَا تَكُنْ لِمَنْ خَانَ مُسْلِمًا أَوْ مُعَاهَدًا فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ، خَصِيمًا تُخَاصِمُ عَنْهُ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ مِنْ طَالَبَهُ بِحَقِّهِ الَّذِي خَانَهُ فِيهِ. {**وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ**} يَا مُحَمَّدُ وَسَلْهُ أَنْ يَصْفَحَ لَكَ عَنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِكَ فِي مُخَاصَمَتِكَ عَنِ الْخَائِنِ مَنْ خَانَ مَالًا لِغَيْرِهِ {**إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**} يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا، إِذَا اسْتَغْفَرُوهُ مِنْهَا، رَحِيمًا بِهِمْ.(٢)

(٢) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} النساء: ١٣٥

هذه الآية فيها حث على الإنصاف ولو على النفس أو الوالدين أو الأقربين . يَأْمُرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ أَيْ بِالْعَدْلِ، فَلَا يَعْدِلُوا عَنْهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَلَا تَأْخُذَهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ وَلَا يَصْرِفَهُمْ عَنْهُ صَارِفٌ، وَأَنْ يَكُونُوا مُتَعَاوِنِينَ مُتَسَاعِدِينَ مُتَعَاضِدِينَ مُتَنَاصِرِينَ فِيهِ، وَقَوْلُهُ: شُهَدَاءَ لِلَّهِ كَمَا قَالَ: وَأَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ [الطلاق: ٢] أَيْ لِيَكُنْ أَدَاؤُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، فَحِينَئِذٍ تَكُونُ صَحِيحَةً عَادِلَةً حَقًّا خَالِيَةً مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالْكِتْمَانِ، وَلِهَذَا قَالَ وَلَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَيْ اشْهَدِ الْحَقَّ وَلَوْ عَادَ ضَرَرُهَا عَلَيْكَ، وَإِذَا سُئِلْتَ عَنِ الْأَمْرِ فَقُلِ الْحَقَّ فِيهِ ولو عادت مضرته عَلَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لِمَنْ أَطَاعَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَضِيقُ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: أَوِ الْوالِدَيْنِ

---

(١) الفروق اللغوية (١/ ٨٠).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٧٦).

وَالْأَقْرَبِينَ أَيْ وَإِنْ كَانَتِ الشَّهَادَةُ عَلَى وَالِدَيْكَ وَقَرَابَتِكَ فَلاَ تُرَاعِهِمْ فِيهَا بَلِ اشْهَدْ بِالْحَقِّ وَإِنَّ عَادَ ضَرَرُهَا عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الحق حاكم عَلَى كُلِّ أَحَدٍ. (١)

(٣) " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " المائدة :٨

وفى هذه الآية حث على الإنصاف ولو مع الأعداء. أي: كونوا قائمين بالعدل قوّالين بالصدق، أمرهم بالعدل والصدق في أفعالهم وأقوالهم،ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم لعداوتهم. اعْدِلُوا في أوليائكم وأعدائكم، هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى.(٢)

(٤) {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} ص:٢٦

في هذه الآية أمر من الله عز وجل لنبيه داوود عليه السلام أن يحكم بالعدل وأن يكون منصفًا في حكمه ولا يتبع الهوى أي هوى نفسه في الحكم فيَضلّ عن سبيل الله عز وجل . يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما ببن أهلها.فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ أي بالعدل والإنصاف وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحقّ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحقّ عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله. إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحقّ الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله، يقول: بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله يَوْمِ الْحِسَابِ من صلة العذاب الشديد. (٣)

الأحاديث الواردة في الحث على الإنصاف

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٣).

(٢) تفسير البغوى (٣/٢٧).

(٣) تفسير الطبرى (٢١/١٨٩)

(١) عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، قَالَ: فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ [١]

يؤخذ من هذا الحديث إنصاف الرسول عليه الصلاة والسلام للخدم وحالهم مع من هم تحت أيديهم أن يطعموهم مما يأكلون وأن يلبسوهم مما يلبسون وألا يكلفوهم من العمل مايغلبهم.

قال المهلب: فيه الحض على كسوة المملوك وإطعامه بالسواء مثل طعام المالك وكسوته [٢]

(٢) وعن أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَرْسَلَتْ أُخْرَى بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ يَدَ الرَّسُولِ، فَسَقَطَتِ الْقَصْعَةُ، فَانْكَسَرَتْ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْكِسْرَتَيْنِ، فَضَمَّ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى، فَجَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، كُلُوا، فَأَكَلُوا، فَأَمْسَكَ، حَتَّى جَاءَتْ بِقَصْعَتِهَا الَّتِي فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَتَرَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْهَا. [٣]

يؤخذ من هذا الحديث إنصاف الرسول عليه الصلاة والسلام في أنه رد القصعة الصحيحة لمن كُسرت قصعتها وترك المكسورة لمن كسرتها

(٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ، أَوْ لِجَارِهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**". [٤]

أي: لا يؤمن أحدكم الإيمان التام، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ظاهره التساوى وحقيقته التفضيل، لأن الإنسان يحب أن يكون أفضل الناس، فإذا أحب لأخيه مثله، فقد دخل هو فى جملة

---

(١) البخاري (٥٥٩٠)، مسلم (٣١٣٩).

(٢) صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٦٤).

(٣) البُخَارِي (٢٤٨١).

(٤) أخرجه: البُخَارِيّ (١٣).

المفضولين، ألا ترى أن الإنسان يجب أن ينتصف من حقه ومظلمته، فإذا كمل إيمانه وكانت لأخيه عنده مظلمة أو حق، بادر إلى إنصافه من نفسه، وآثر الحق، وإن كان عليه فيه بعض المشقة. وقد روى هذا المعنى عن الفضيل بن عياض، أنه قال لسفيان بن عيينة: إن كنت تريد أن يكون الناس كلهم مثلك، فما أديت لله النصيحة، كيف وأنت تود أنهم دونك. (١)

(٣) وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا (٢)

أي: مَا أنصفنا بإسكان الفاء وأصحابنا مَنْصُوبٌ مَفْعُولٌ بِهِ هَكَذَا ضَبَطَهُ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَمَعْنَاهُ مَا أَنْصَفَتْ قُرَيْشٌ الأنصار لكون القرشيين لَمْ يَخْرُجَا لِلْقِتَالِ بَلْ خَرَجَتِ الْأَنْصَارُ وَاحِدًا بعدو أحد وَذَكَرَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ أَنَّ بَعْضَهُمْ رَوَاهُ مَا أَنْصَفَنَا بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالْمُرَادُ عَلَى هَذَا الَّذِينَ فَرُّوا مِنَ الْقِتَالِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُنْصِفُوا لِفِرَارِهِمْ (٣)

أقسام الإنصاف وصوره:

(١) **الإنصاف في معاملة الله:** فأن يعطى العبودية حقها وأن لا ينازع ربه صفات إلهيته التي لا تليق بالعبد ولا تنبغي له: من العظمة والكبرياء والجبروت ومن إنصافه لربه: أن لا يشكر سواه على نعمه وينساه ولا يستعين بها على معاصيه ولا يحمد على رزقه غيره ولا يعبد سواه. (٤)

(٢) إنصاف النبي ﷺ

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/٦٥)

(٢) أخرجه: مُسْلم (٥/١٧٨).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٤٧)

(٤) مدارج السالكين (١/٤٦٣)

القيام بحقوق النبي ﷺ من الإيمان به ومحبته ، وتقديمها على محبة الخلق كلهم ، وطاعته وتوقيره وتبجيله ، وتقديم أمره وقوله على أمر غيره وقوله .

ومن الظلم العظيم : أن يخل العبد بشيء من حقوق النبي ﷺ الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأرحم بهم وأرأف بهم من كل أحد من الخلق ، وهو الذي لم يصل إلى أحد خير إلا على يديه. (١)

(٣) إنصاف نفسه من نفسه

فَلاَ يَدَّعِي لَهَا مَا لَيْسَ لَهَا، وَلَا يُخْبِثُهَا بِتَدْنِيسِهِ لَهَا، وَتَصْغِيرِهِ إِيَّاهَا، وَتَحْقِيرِهَا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَيُنَمِّيهَا وَيُكَبِّرُهَا وَيَرْفَعُهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَحُبِّهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ وَمَحَابِّهِ عَلَى مَرَاضِي الْخَلْقِ وَمَحَابِّهِمْ، وَلَا يَكُونُ بِهَا مَعَ الْخَلْقِ وَلَا مَعَ اللَّهِ بَلْ يَعْزِلُهَا مِنَ الْبَيْنِ كَمَا عَزَلَهَا اللَّهُ، وَيَكُونُ بِاللَّهِ لَا بِنَفْسِهِ فِي حُبِّهِ وَبُغْضِهِ وَعَطَائِهِ وَمَنْعِهِ وَكَلَامِهِ وَسُكُوتِهِ وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ، فَيُنْجِي نَفْسَهُ مِنَ الْبَيْنِ، وَلَا يَرَى لَهَا مَكَانَةً يَعْمَلُ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ مِمَّنْ ذَمَّهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ {اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ}الأنعام: **١٣٥**.

فَالْعَبْدُ الْمَحْضُ لَيْسَ لَهُ مَكَانَةٌ يَعْمَلُ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ مُسْتَحَقُّ الْمَنَافِعِ وَالْأَعْمَالِ لِسَيِّدِهِ، وَنَفْسُهُ مِلْكٌ لِسَيِّدِهِ فَهُوَ عَامِلٌ عَلَى أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى سَيِّدِهِ مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ لَهُ عَلَيْهِ، لَيْسَ لَهُ مَكَانَةٌ أَصْلاً، بَلْ قَدْ كُوتِبَ عَلَى حُقُوقٍ مُنَجَّمَةٍ، كُلَّمَا أَدَّى نَجْمًا حَلَّ عَلَيْهِ نَجْمٌ آخَرُ، وَلَا يَزَالُ الْمُكَاتَبُ عَبْدًا، مَا بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ نُجُومِ الْكِتَابَةِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ إِنْصَافَهُ مِنْ نَفْسِهِ يُوجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ، وَحَقَّهُ عَلَيْهِ، وَمَعْرِفَةَ نَفْسِهِ، وَمَا خُلِقَتْ لَهُ، وَأَنْ لَا يُزَاحِمَ بِهَا مَالِكَهَا، وَفَاطِرَهَا وَيَدَّعِيَ لَهَا الْمُلْكَةَ وَالِاسْتِحْقَاقَ، وَيُزَاحِمُ مُرَادَ سَيِّدِهِ، وَيَدْفَعَهُ بِمُرَادِهِ هُوَ، أَوْ يُقَدِّمَهُ وَيُؤْثِرَهُ عَلَيْهِ، أَوْ يَقْسِمَ إِرَادَتَهُ بَيْنَ مُرَادِ سَيِّدِهِ وَمُرَادِهِ، وَهِيَ قِسْمَةٌ ضِيزَى، مِثْلَ قِسْمَةِ الَّذِينَ قَالُوا: {هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الْأَنْعَام: **١٣٦**] .فَلْيَنْظُرِ الْعَبْدُ لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ بَيْنَ نَفْسِهِ وَشُرَكَائِهِ وَبَيْنَ اللَّهِ لِجَهْلِهِ وَظُلْمِهِ وَإِلَّا لُبِّسَ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ ظَلُومًا جَهُولًا، فَكَيْفَ يَطْلُبُ الْإِنْصَافَ مِمَّنْ وَصْفُهُ الظُّلْمُ وَالْجَهْلُ؟ وَكَيْفَ يُنْصِفُ الْخَلْقَ مَنْ لَمْ يُنْصِفِ الْخَالِقَ؟ (٢)

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (١/ ٧٠)

(٢) زاد المعاد (٢/ ٤١٠)

فضل الإنصاف وفوائده

(١) الإنصاف صفة من الصفات الطيبة التي يجب أن يتحلى بها المسلم حتى يُعطى الناس حقوقهم كما يُحب أن يأخذ حقه .

(٢) الإنصاف هبة من الله تعالى ومما يؤكد ذلك قول ابن حزم :فَإِنَّ اللهَ رَكَّبَ فِي النَّفْسِ الإِنْسَانِيَّةِ قُوَىً مختلفَة، فَمِنْهَا عَدْلٌ يُزَيِّنُ لَهَا الإِنصَاف، وَيُحَبِّبُ إِلَيْهَا مُوَافِقَةَ الحَقّ، قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ العَدْلِ} النحل:٩٠ . وَقَالَ:{كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ}[النِّسَاء:١٣٥] وَمِنْهَا غضبٌ وَشَهْوَةٌ يُزَيِّنَان لَهَا الجُور وَيَعمِيَانهَا عَنْ طَرِيْق الرشد، قَالَ تَعَالَى:{وَإِذَا قِيْلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ العِزَّةُ الإِثْمِ}البَقَرَة:٢٠٦. وَقَالَ:{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيْهِمْ فَرِحُوْنَ}الرُّوْم:٣٢ [١]

(٣) الإنصاف هو رأس الخير وزبدته ومنبعه

(٤) إشاعة العدل في المجتمع

(٥) راحة قلوب العباد بأن كل واحد سينتصف لحقه فلا يظلم

(٦) رد المظالم إلى أهلها

(٧) البركة في الرزق والعافية[٢]

نماذج من السلف في الإنصاف

عَنْ عَمَّارٍ رضي الله عنه ، قَالَ : ثَلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ جَمَعَ الإِيمَانَ : الإنصاف مِنْ نَفْسِكَ ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالَمِ. [٣]

إنصاف عائشة رحمها الله مع من هجاها ورماها، فمع أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قد رماها بالفاحشة، لكن لم يمنعها هذا من أن تُقر له بالفضل الذي له وكانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول إنه الذي يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي ..... لعرض محمد منكم وقاء

---

(١) الأخلاق والسير لابن حزم (١/١٩)

(٢) المدخل للعبدرى (١/١٧٤)

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١١/٤٨)

وهذا من شدة إنصافها رحمها الله. (١)

قال الأحنف: ما عرضت الإنصاف على أحد فقبله إلا هبته، ولا أباه إلا طمعت فيه. (٢)

قال أحمد بن حنبل: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي

فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال أحمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد يقول ما مس أحد بيده محبرة إلا وللشافعي في عنقه منة (٣)

قال ابن حزم: من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له وجه تعسفه. (٤)

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ سَعْدٍ: مَا أَقَلَّ الإنصاف وَمَا أَكْثَرَ الْخِلاَفَ (٥)

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْوَفَاءَ عَلَى الْكَرِيمِ فَرِيضَةٌ وَاللُّؤْمُ مَقْرُونٌ بِذِي الْإِخْلاَفِ

وَتَرَى الْكَرِيمَ لِمَنْ يُعَاشِرُ مُنْصِفًا وَتَرَى اللَّئِيمَ مُجَانِبَ الإنصاف. (٦)

انتهت الخطبة

---

(١) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار للحضرمي (١/٣٠٣)

(٢) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١/٢١٩)

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي(١/٢٦)

(٤) الأخلاق والسير لابن حزم (١/١٦٥)

(٥) الآداب الشرعية (٢/٣٠٦)

(٦) أدب الدنيا والدين (١/٣١٣)

٤- خطورة النفاق

عناصر الخطبة

مقدمة بين يدي الموضوع

١- تعريف النفاق **٤- خطورة النفاق.**

٢- أنواع النفاق. **٥- أسباب النفاق.**

٣- خوف السلف من النفاق **٦- أشهر صفات المنافقين.**

وإليكم التفصيل

مقدمة بين يدي الموضوع

قال ابن القيم :

وَأَمَّا النِّفَاقُ: فَالدَّاءُ الْعُضَالُ الْبَاطِنُ، الَّذِي يَكُونُ الرَّجُلُ مُمْتَلِئًا مِنْهُ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ خَفِيٌّ عَلَى النَّاسِ، وَكَثِيرًا مَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَلَبَّسَ بِهِ، فَيَزْعُمُ أَنَّهُ مُصْلِحٌ وَهُوَ مُفْسِدٌ.

وَقَدْ هَتَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَسْتَارَ الْمُنَافِقِينَ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ فِي الْقُرْآنِ، وَجَلَّى لِعِبَادِهِ أُمُورَهُمْ، لِيَكُونُوا مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا عَلَى حَذَرٍ، وَذَكَرَ طَوَائِفَ الْعَالَمِ الثَّلَاثَةَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: الْمُؤْمِنِينَ، وَالْكُفَّارَ، وَالْمُنَافِقِينَ، فَذَكَرَ فِي الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَ آيَاتٍ، وَفِي الْكُفَّارِ آيَتَيْنِ، وَفِي الْمُنَافِقِينَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً، لِكَثْرَتِهِمْ وَعُمُومِ الِابْتِلَاءِ بِهِمْ، وَشِدَّةِ فِتْنَتِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَإِنَّ بَلِيَّةَ الْإِسْلَامِ بِهِمْ شَدِيدَةٌ جِدًّا، لِأَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَيْهِ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَمُوَالَاتِهِ، وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، يُخْرِجُونَ عَدَاوَتَهُ فِي كُلِّ قَالَبٍ يَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّهُ عِلْمٌ وَإِصْلَاحٌ، وَهُوَ غَايَةُ الْجَهْلِ وَالْإِفْسَادِ.

فَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُهُ مِنْ شُبَهِهِمْ سَرِيَّةٌ بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ مُصْلِحُونَ {**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**}[البقرة: ١٢]، {**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**} [الصف: ٨].

اتَّفَقُوا عَلَى مُفَارَقَةِ الْوَحْيِ، فَهُمْ عَلَى تَرْكِ الاِهْتِدَاءِ بِهِ مُجْتَمِعُونَ {**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**} [المؤمنون: ٥٣]، {**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**} [الأنعام: ١١٢] وَلأَجْلِ ذَلِكَ {**اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**} [الفرقان: ٣٠].

لِكُلٍّ مِنْهُمْ وَجْهَانِ، وَجْهٌ يَلْقَى بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَجْهٌ يَنْقَلِبُ بِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُلْحِدِينَ، وَلَهُ لِسَانَانِ: أَحَدُهُمَا يَقْبَلُهُ بِظَاهِرِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَالآخَرُ يُتَرْجِمُ بِهِ عَنْ سِرِّهِ الْمَكْنُونِ {**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**} [البقرة: ١٤].

قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اسْتِهْزَاءً بِأَهْلِهِمَا وَاسْتِحْقَارًا، وَأَبَوْا أَنْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِ الْوَحْيَيْنِ فَرَحًا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ الاِسْتِكْثَارُ مِنْهُ أَشَرًا وَاسْتِكْبَارًا، فَتَرَاهُمْ أَبَدًا بِالْمُتَمَسِّكِينَ بِصَرِيحِ الْوَحْيِ يَسْتَهْزِئُونَ {**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**} [البقرة: ١٥].

يَتَرَبَّصُونَ الدَّوَائِرَ بِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ، قَالُوا: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ وَأَقْسَمُوا عَلَى ذَلِكَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، وَإِنْ كَانَ لِأَعْدَاءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ النُّصْرَةِ نَصِيبٌ، قَالُوا: أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ عَقْدَ الْإِخَاءِ بَيْنَنَا مُحْكَمٌ، وَأَنَّ النَّسَبَ بَيْنَنَا قَرِيبٌ؟ فَيَا مَنْ يُرِيدُ مَعْرِفَتَهُمْ، خُذْ صِفَاتِهِمْ مِنْ كَلاَمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلاَ تَحْتَاجُ بَعْدَهُ دَلِيلاً {**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**} [النساء: ١٤١].

يُعْجِبُ السَّامِعَ قَوْلُ أَحَدِهِمْ لِحَلاَوَتِهِ وَلِينِهِ، وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ كَذِبِهِ وَمَيْنِهِ، فَتَرَاهُ عِنْدَ الْحَقِّ نَائِمًا، وَفِي الْبَاطِلِ عَلَى الْأَقْدَامِ، فَخُذْ وَصْفَهُمْ مِنْ قَوْلِ الْقُدُّوسِ السَّلاَمِ {**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**} [البقرة: ٢٠٤].

أَوَامِرُهُمُ الَّتِي يَأْمُرُونَ بِهَا أَتْبَاعَهُمْ مُتَضَمِّنَةٌ لِفَسَادِ الْبِلاَدِ وَالْعِبَادِ، وَنَوَاهِيهِمْ عَمَّا فِيهِ صَلاَحُهُمْ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَأَحَدُهُمْ تَلْقَاهُ بَيْنَ جَمَاعَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الصَّلاَةِ وَالذِّكْرِ وَالزُّهْدِ وَالاِجْتِهَادِ {**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**} البقرة: ٢٠٥.

فَهُمْ جِنْسٌ بَعْضُهُ يُشْبِهُ بَعْضًا، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ بَعْدَ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ بَعْدَ أَنْ يَتْرُكُوهُ، وَيَبْخَلُونَ بِالْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ أَنْ يُنْفِقُوهُ، كَمْ ذَكَّرَهُمُ اللَّهُ بِنِعَمِهِ فَأَعْرَضُوا عَنْ ذِكْرِهِ وَنَسُوهُ؟ وَكَمْ كَشَفَ حَالَهُمْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَجْتَنِبُوهُ؟ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ {**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**} [التوبة:٦٧].(١)

تعريف النفاق:

النفاق لغة – مصدر: نافق – يقال: نافق ينافق نفاقا ومنافقة، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره، فإنه إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه – وقيل هو من النفق، وهو السرب الذي يستتر فيه.

أما النفاق في الشرع: فمعناه إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشر. سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر. وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: {**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**} [التوبة: ٦٧] أي الخارجون من الشرع. وجعل الله المنافقين شرا من الكافرين فقال: {**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**} [النساء: ١٤٥] وقال تعالى: {**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**} [النساء: ١٤٢] {**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ – فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**} [البقرة: ٩ – ١٠]

(ب) **أنواع النفاق: النفاق نوعان:**

النوع الأول: النفاق الاعتقادي، وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر – وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار – وقد وصف الله أهله بصفات الشر كلها: من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم في عداوة الإسلام – وهؤلاء موجودون في كل زمان. ولا سيما

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ١٥٨ – ١٦١ باختصار.

عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فإنهم يظهرون الدخول فيه لأجل الكيد له ولأهله في الباطن. ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم. فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به. لا يؤمن بالله. وأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر، جعله رسولا للناس، يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه، ويخوفهم عقابه.(١)

وهذا النفاق ستة أنواع:

١ - تكذيب الرسول ﷺ.

٢ - تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ

٣ - بغض الرسول ﷺ.

٤ - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ

٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ

٦ - الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

والثاني: النفاق الأصغر:

وهو النفاق العملي أي النفاق في فروع الدين، وهو دون الكفر، لكنه اختلاف بين السريرة والعلانية، فمن أظهر أنه صادق أو موف أو أمين، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقا، لا أن يبطن في قلبه كفرا وشكا وتكذيبا يخفيه عن الناس، ويظهر إسلاما لا حقيقة له. وهذا النوع من النفاق جاءت به السنة. والأصل فيه ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**".(٢)

---

(١) من رسالة لابن القيم في بيان صفات المنافقين.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان (١ / ٨٩) ومسلم في كتاب الإيمان (١ / ٧٨) رقم (٥٩) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبيﷺقال: "**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**".(١)

فهذه كلها أعمال إذا كان فاعلها مؤمنا بالله وحده، قد سلم اعتقاده مما يخرجه من الدين، فنفاقه نفاق أصغر، وهذه الخصال قد توجد في المسلم الصادق الذي ليس فيه شك.

قال النووي: وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف – عليه السلام – جمعوا هذه الخصال. "(٢)

وهذا النفاق الأصغر هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم.(٣)

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين. ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق – فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق. ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك، ومنه التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد، فإنه من صفات المنافقين – فالنفاق شر وخطير جدا، وكان الصحابة يتخوفون من الوقوع فيه.

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

١ – أن النفاق الأكبر يخرج من الملة، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة.

٢ – أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد. والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣ – أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

---

(١) رواه البخاري في الإيمان (١ / ٨٩) ، ومسلم في الإيمان (١ / ٧٨) رقم (٥٨)

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ٤٦ و ٤٧) .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧ / ٤٢٨) وفتح الباري (١ / ١١١) .

٤ - أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه، ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم. بخلاف النفاق الأصغر، فإن صاحبه قد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه. وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه. والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره. كما قال الصحابة: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ "(١) وفي رواية: "ما يتعاظم أن يتكلم به. قال: الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة" - أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة، ودفعه عن القلب، وهو من صريح الإيمان.(٢)

وأما أهل النفاق الأكبر، فقال الله فيهم: {**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**} [البقرة: ١٨] أي في الإسلام في الباطن. وقال تعالى فيهم: {**أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ**} [التوبة: ١٢٦]

خوف السلف من النفاق:

قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: "يا حذيفة نشدتك بالله هل سماني لك رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحدا"

وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل" والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة ... ، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص. وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في

---

(١) مسلم (١٣٦).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٣٤ - ٤٣٥)

الأعمال ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي الله عنهم".[١]

وقال الحسن البصري: "ما أمنه إلا منافق وما خافه إلا مؤمن"

وقال إبراهيم التيمي: (ما عرضت قولي على عملي، إلا خفت أن أكون مكذبًا).

وقال الحسن البصري: ما خافه إلا مؤمن، وما أمنه إلا منافق.

قال حذيفة رضي الله عنه: النفاق اليوم أكثر منه على عهد رسول الله ﷺ، وفي رواية: كانوا على عهد النبي ﷺيسرونه، واليوم يظهرونه].[٢]

وكونهم يسرونه على عهد النبي ﷺ؛ فذلك لقوة الإسلام وعزه بالحجة والسيف.

خطورة النفاق:

إن أكبر خطر تهددت به الأمة الإسلامية على مر العصور هو النفاق، قال الله تعالى: {**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ**} سورة المنافقون الآية ٤.

والحصر في الآية لبيان أولويتهم في العداوة، ولهذا كان مصيرهم يوم القيامة أسوأ مصير في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم شر من الكفار الصرح، فبلية المؤمنين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين؛ لأنهم لا يظهرون ما يعتقدون، يعملون في الخفاء، ويظهرون لباس الإخوان والأصدقاء فهم مستأمنون لا يحسب لهم حساب ولا يراقبون ولا يحترز منهم إلا القليل من المؤمنين، والعدو المخالط المداخل المساكن أخطر وأشد كيدا من العدو الظاهر البعيد، فهم أخطر من الجيوش العسكرية، والانحرافات الفكرية لأن أصحابها أعداء معروفون واضحون لا يقبل كثير من الناس أقوالهم.

وقد جاء عن رسول اللهﷺقوله: "**إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان.**[٣]

أسباب النفاق:

---

(١) فتح الباري (١ / ١١٠ ، ١١١) .

(٢) رواه البخاري (٧١١٤)، وابن أبي شيبة أيضًا في الفتن، وأبو نعيم في الحلية، والفريابي في صفة النفاق.

(٣) رواه أحمد (١ / ٢٢)، وابن حبان في صحيحه (١ / ١٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٠) .

أولا: حب الشهوات ومنها:

١- حب أنفسهم والخوف عليها من القتل أو السبي.

وهذا السبب يبدو واضحا في نفاق من نافق بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة وكثرة أتباعه، وانتصاره يوم بدر، فحينئذ أصبحت للمسلمين قوة تهاب فظهر النفاق، أما في مكة فلم يكن هناك منافقون لأنهم كانوا يظهرون كفرهم ولا يخشون شيئا فلما قوي الإسلام وأهله خافوا على أنفسهم من القتل أو الطرد أو السبي.

قال تعالى: {**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً**}،{**مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً**} الأحزاب الآية(٦١،٦٠)

قال قتادة: ذكر لنا أن المنافقين كانوا يظهرون ما في أنفسهم من النفاق فلما أوعدهم الله بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه.

ب- حب الجاه والرياسة والزعامة والخوف من ضياعها.

قد يكون لبعض المنافقين جاه ورياسة يخاف إن أظهر كفره أن يتفرق عنه أتباعه وأعوانه فيخفيه ويظهر الإسلام، كما فعل عبد الله ابن أبي ابن سلول فإنه كان قاب قوسين أو أدنى من الرياسة في قومه، ثم تفاجأ بقدوم النبي ﷺ إلى المدينة سيدا فيها وحاكما لها، فكان هذا ما حمله على النفاق في مبدأ الأمر.

جـ- حب حظوظ الدنيا والطمع في الغنائم:

من المنافقين من يكون سبب نفاقه حب الدنيا والطمع في الغنائم، ولهذا نراهم يخرجون مع رسول الله ﷺ ثم لا يقاتلون، ومنهم من لا يخرج وإذا رجع رسول الله جاء معتذرا طمعا في عطاء رسول الله ﷺ ورضاه عنه. فهم لحبهم للدنيا يؤملون الغنائم وقد ذكر الله سبحانه صفتهم هذه في قوله تعالى: {**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**}. (سورة التوبة الآية ٤٢)

وقد كان هذا في غزوة تبوك لما رأى المنافقون شدة الحر وبعد المسافة تخلفوا عن رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية موبخا لهم، مبينا أن السفر لو كان قريبا سهلا، والغنيمة قريبة المتناول حاضرة، لخرجوا

معك أما قولهم لما جاءوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ فهو مجرد كذب لأنهم كانوا مستطيعين.

ثانيا: الفتن والشبهات:

سنة الله في عباده أن يمتحنهم ليعرف الصادق من الكاذب، فإذا جاءت الفتنة كانت سببا في نفاق من كان إيمانه ضعيفا، ومن أمثلة ذلك:

حادثة تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، فقد كانت اختبارا وابتلاء من الله ومحنة امتحن الله بها الناس، وبعدها ارتد طائفة عن الإيمان قال تعالى: {**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**}. [سورة البقرة الآية ١٤٣]

ومن هذه الفتن هزيمة المسلمين يوم أحد فإنه لما حصل ذلك ارتد طائفة ونافقوا قال تعالى: {**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ**}{**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**}. آل عمران الآية ١٦٦،١٦٧

قال ابن تيمية: "قوله: {**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا**} ظاهر فيمن أحدث نفاقا، وهو يتناول من لم ينافق من قبل، ومن نافق ثم جدد نفاقا ثانيا، ثم ذكر أن الذين انخذلوا يوم أحد مع عبد الله ابن أبي رأس المنافقين كانوا ثلاثمائة لم يكونوا قبل ذلك كلهم منافقين.[١]

أشهر صفات المنافقين:

١-الإفساد في الأرض بتهديم شريعة الله واتهام المؤمنين بالسفه قال تعالى في وصف المنافقين:{**إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**} (البقرة، آية: ١١-١٣).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٢٧٩).

ب. خداع المؤمنين: قال تعالى: " **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ** " (البقرة، آية: ١٤).

ج. الإعراض عن التحاكم إلى شرع الله: قال تعالى: " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا** " (النساء، آية: ٦٠، ٦١).

د. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: قال تعالى: " **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** " (التوبة، آية: ٦٧).

هـ. اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين: قال الله تعالى: " **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا** "النساء: ١٣٨، ١٣٩.

وهذه صفات أخرى للمنافقين

١ - الكذب.

٢ - إخلاف الوعد.

٣ - خيانة الأمانة.

٤ - الفجور في الخصومة.

٥ - الاستهزاء بالله وبرسوله وبالمؤمنين.

٦ - إظهار الإصلاح والحرص على المصلحة العامة، مع الإفساد في الأرض ومحبة نشر الفاحشة والزنا بين المؤمنين، والاهتمام بقضايا تحرير المرأة ونحوها لهذا الغرض.

٧ - إفساد الحرث والنسل.

٨ - كثرة الحلف، وعامته كذب.

٩ - التكاسل عن الصلاة.

١٠ - قلة ذكر الله.

١١ - الاستكبار عن قبول الحق وعدم التوبة.

١٢ - اعتدادهم بأنفسهم وازدراؤهم بالصالحين.

١٧ - السفه وقلة العلم الشرعي.

١٣ - البخل عن الصدقات.

١٤ - حسن المظهر، وذلاقة اللسان، وزخرفة القول.

المنافقون منتشرون في بقاع الأرض

كما قال الحسن البصري: **لولا المنافقون لاستوحشتم في الطرقات.**(١)

وقال ابن القيم: كَادَ الْقُرْآنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّهُ فِي شَأْنِهِمْ، لِكَثْرَتِهِمْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَفِي أَجْوَافِ الْقُبُورِ، فَلاَ خَلَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ مِنْهُمْ لِئَلاَّ يَسْتَوْحِشَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الطُّرُقَاتِ، وَتَتَعَطَّلَ بِهِمْ أَسْبَابُ الْمَعَايِشِ، وَتَخْطَفَهُمُ الْوُحُوشُ وَالسِّبَاعُ فِي الْفَلَوَاتِ، سَمِعَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَهْلِكِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ هَلَكَ الْمُنَافِقُونَ لَاسْتَوْحَشْتُمْ فِي طُرُقَاتِكُمْ مِنْ قِلَّةِ السَّالِكِ.(٢)

ولا يعني ذلك تعميم الحكم بالنفاق على الأكثرية والأغلبية، فإن النفاق شُعَب وأنواع، كما أن الكفر شعب وأنواع، والمعاصي بريد الكفر، فكذا من كان متهمًا بنفاق فهم على أنواع متعددة، كما وضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم مَن فيه إيمان ونفاق، وفيهم مَن إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق، ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك: صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكن يعاتبون عليه قبل ذلك...(٣)

انتهت الخطبة

---

(١) أخرجه ابن بطة في (الإبانة الكبرى) ٢/٦٩٨.

(٢) مدارج السالكين ١/٣٥٨.

(٣) مجموع الفتاوي ٧/٥٢٣.

الفهرس

١- مكفرات الذنوب وموجبات الجنة.....٢
٢- حفظ الوقت.....١٢
٣- الإنصاف.....٢٠
٤ -خطورة النفاق.....٢٨